بسم الله الرحمن الرحيم

الرضا بعد القضاء ١٣/ ١٢/ ١٤٤٢هـ

فإنَّ من أصول الإيمان العظيمة، وأسس المعتقد المتينة، الإيمانَ بالقضاء والقدر ، وأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن هذا الخلق كلَّه طوع تدبير خالقه، وتصريف موجِده، جل في علاه ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ولقد تكاثرت الأدلة في كتاب الله، وسنة مصطفاه، صلى الله عليه وسلم ، على تقرير هذا الأصل وإثباته في مواطن كثيرة ؛ قال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، وقال صلى الله عليه وسلم «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دَخَلْتُ عَلَى والدي، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي ، فَقَالَ: أَجْلِسُونِي ؛ فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الإيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللهِ؛ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ» يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ». وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «الإيمان بالقدَر نظام التّوحيد؛ فمن وحَّد الله وكذَّب بالقدر؛ نقض تكذيبُه توحيدَه».

عباد الله: قد يقول قائل : إذا كانت الأمور كلها بقدر الله فلماذا نعمل ونتعب؟ واسمع جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن علي رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد في جنازة، فقال صلى الله عليه وسلم «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ،إِلا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ؛ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يعزِّي رجلاً مات ولده: "إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأثوم". وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «قد أفلح من أسلم ورُزق كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه» فالخير كله في الرضا، قال -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ» وقال عليه الصلاة والسلام «وأسألك الرضا بعد القضاء».

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنـًا يطغيها

وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

يقول ابن القيّم -رحمه الله-: "الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين، وقرة عيون المشتاقين، ومن ملأ قلبه من الرضا بالقدر، ملأ الله صدره غنىً وأمنـًا، وفرَّغ قلبه لمحبته والإنابة إليه والتوكل عليه، ومن فاته حظُّه من الرضا، امتلأ قلبه بضدِ ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه".

الخطبة الثانية :

فإن كثيرا من الناس اليوم في قلق دائم ، فالصغير ود لو كبر ، والكبير يتمنى لو صغر ، والعاطل يبحث عن عمل، والموظف من عمله ضَجِر، والفقير ودّ لو اغتنى، والغني على تكثير ماله في عناء ، وودّ العقيمُ لو رزق بولد، وصاحب الأولاد على أولاده في شقاء، والمريض يطلب الدواء، والمعافي في خوف من المرض ، وهكذا هي حياة كثير من الناس، لا تدوم على حال، ولا يستقر لها قرار، وكلما تطلع المرء إلى أمر طلب غيره، وكلما كان على حال تاقت نفسه إلى حال أخرى، عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: «لو كان لابن آدم واديانِ من مالٍ لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على مَن تاب» وقد نتج عن هذه الحال الكثير من أمراض النفس البشرية؛ كالهموم والأحزان والقلق والحسد، وقد قال عليه الصلاة والسلام «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس» وليس الرضا هو القعود والتواكل، وإنما الرضا باستفراغك الوسع، وبذل الجهد والأسباب في تحقيق المراد، فلابد من التداوي من الأمراض، والسعي لتحصيل الأرزاق، فالذي تزوج ولم يرزق الولد رغم سعيه للعلاج، والذي أصيب بمرض لم يستطع دفعه بالدواء، والذي ابتلاه الله بالفقر وضيق ذات اليد، فاجتهد في تحصيل الغنى فلم يوفق، هنا يأتي التحلي بصفة الرضا بما كتبه الله وقدره، فتحيل القلب إلى سرور دائم، وتشعر النفس بنعيم مقيم..

عباد الله : الألم لا ينافي الرضا عن الله، فالمريض يشرب الدواء وهو كاره له لكنه راض لأنه يعلم أن فيه بعد مشيئة الله شفاءه ، قطعت رجل عروة بن الزبير ، ومات ابنه في يوم واحد وسلم بقضاء الله وقدره، وقال: اللهم إنه كان لي سبعة من الولد أخذت منهم واحدا وأبقيت ستة، وكان لي أربعة من الأعضاء أخذت واحدا وأبقيت ثلاثة، لئن ابتليت لقد عافيت. فحزن القلب ودمع العين لا يؤاخذ عليه الإنسان. والذي يحرم على الإنسان هو التسخط على قضاء الله وقدره.